

نظرية الخطاب عند بول ريكور

Discourse theory of Paul Ricoeur

واحك مراد

جامعة خميس مليانة (الجزائر)، m.ouahek@hotmail.com

تاريخ الإرسال: 01-06-2022 تاريخ القبول: 21-12-2022 تاريخ النشر: 31-12-2022

ملخص: تصورت البنيوية موت الخطاب، ذلك أنّ المؤلف ليس هو الذي يكتب الخطاب، بقدر ما كتبه عوامل، وفواعل لاشعورية، راسخة في طريق كلامنا. فاللغة تحمل بني لا شعورية، سواء من حيث تراكيبها، أو من حيث ما تحمله من فكر على المؤلف نفسه. يأتي بول ريكور بنظرية في الخطاب: تتجاوز تصور المدرسة البنيوية للنص، حيث يميز ريكور بين اللغة، والكلام. تصبح اللغة مجرد أداة، وعلامات يستعملها الجميع، وليس لها أي تأثير على الكاتب. أمّا الكلام فيعود للمتكلم، حيث يمكن له أن يتحدث عن أي شيء، بحرية تامة. ثم يميز ريكور بين الكلام الشفهي، والكلام المثبت بالكتابة. وعندما يُكتب النص، سيصبح ملكا للجميع، ويخاطب كل أحد. فالنصوص الشعرية، والفلسفية، والاسطورية الكبرى لا تموت. لأنها، تقترح عوالم، وامكانيات من الفهم، والدلالة. والعيش مع هذه النصوص، لا يكون إلا بالتأويل. وتصبح النصوص دائما في جدة، وحادثة وذلك بما تقدمه من معاني، ودلالات.

الكلمات المفتاحية: الخطاب، النص، التأويل، عالم، الكتابة.

Abstract : Structuralism says with the death of discourse, because it is not the author who writes the discourse so much as it is written by unconscious factors and imperatives firmly rooted in the course of our speech. On the contrary, we see Ricoeur come up with a new theory in discourse, where Ricoeur distinguishes between language and speech, language becomes just a tool and signs used by everyone and has no effect on the writer, while speech belongs to the speaker and can speak about anything with complete freedom. Then Ricoeur distinguishes between oral speech and written speech, and when he writes the text it becomes the property of all and addresses all. The great poetic, philosophical and mythical texts do not die because they suggest worlds and possibilities for understanding and meaning, and these texts can be benefited from through interpretation, and these texts always become new and modern, with the meanings and connotations they provide

Keywords: Discourse, text, interpretation, world, writing

المؤلف المرسل: واحك مراد، الإيميل: m.ouahek@hotmail.com

يرى البعض أنّ ما يكتبه الانسان هو نتيجة لسياق تاريخي معيّن، وهذا النتاج ينتهي بانتهاء المرحلة التاريخية التي كُتِبَ فيها. وسواء تعلق الأمر بالأدب، أو بالشعر، أو بالقصص، أو بالفلسفة، أو بالأساطير، فإنّ إنسان القرن الواحد والعشرين - في نظرهم -، ليس بحاجة إلى أساطير القرن الثامن قبل الميلاد، بل وليس في حاجة إلى أدب شكسبير، ولا شعر المتنبي، ولا حتى نثر وشعر جبران. أمّا الفلسفة فهو أحوج إلى فلسفة التقنية الحديثة، أمّا قراءة فلسفة افلاطون، وارسطو، وابن رشد فهي ليست إلا مضیعة للوقت. النص بحسب هؤلاء يموت، عندما لا يُعبّر عن حاجة، وواقع الانسان. بل عبقرية تلك النصوص التاريخية، تكمن في كونها عبّرت عن أسئلة، وواقع وحاجة الانسان في ذلك العصر، فما نحتاجه اليوم هو نصوص جديدة، حديثة، أكثر جدّة، لها جاذبية الثورة التقنية الحديثة. وكل ما عدا هذا، فهو ينتمي إلى ركام التاريخ .

في المقابل، هناك اتجاه فكري يرى أنّ النصوص العظيمة، تملك خلودا في ذاتها، إنّها تتجاوز الزمن الذي انتجت فيه، وتخطب الإنسانية في كل مكان وزمان، فهي غير محددة بالمكانية، والزمانية التي انتجتها. بل إنّها موجّهة للإنسان عبر الازمنة. ونصوص حمورابي القانونية الموقعة في القدم، خير دليل. فهي أوّل شريعة بشرية تعكس حاجة الانسان إلى التنظيم القانوني، والاجتماعي. وهناك جمهورية

افلاطون المثالية يمكن أن تطرح نفسها كبديل في الحاضر، لإعادة قراءتها، وإنتاج نظام سياسي يلي طموحات الانسان، بما طرحته من امكان وجود مدينة فاضلة. وهناك شعر ومسرحيات شكسبير التي مازالت تصنع الحدث المعرفي، والثقافي بفعل الحكمة البشرية المخترنة فيها، لتعود تارة إلى وسائط التواصل الاجتماعي، على شكل حكم مقتضبة، تعبّر عن الحكمة الخالدة التي لا تموت، معبرة عن هموم الانسان المعاصر، وتارة أخرى تجسّد في أفلام، ومسرحيات محافظة على نفس بريقها الأوّل. ومن هذا الاتجاه الفكر ينتمي ريكور (Paul Ricœur)، فهو من الفلاسفة الذين انتقدوا فكرة موت مؤلف النص، سواء في ردوده على البنيوية، أو على ردوده على الماركسية التي تجمعها فكرة أنّ النص لم يكتبه المؤلف بل أملته الظروف الاجتماعية، والاقتصادية على كاتبه، ليعبّر فيه عن طموح، أو ليدافع فيه عن الطبقة المهيمنة، هذا الذي نجده في تحليلات الماركسية. أمّا البنيوية فترى أنّ المؤلف غائب عن النص. بالرغم من أنّه صاحبه

نظرية الخطاب عند بول ريكور

الحقيقي، ولكن ليس هو الذي يستعمل اللغة، بل اللغة بوصفها نسق من الإشارات، التي كانت نتاج ترسبات تاريخية، هي التي تكلمت في مكان الكاتب. يأتي بول ريكور بفكرة: أنّ النص ينتمي إلى مؤلفه، وأنّ اللغة هي مجرد أداة بيد الكاتب. ففي لحظة الكتابة يسجّل المؤلف فكره، ونيته، ورغبته، وهذا التسجيل في الكتابة هو الذي يبقى. ويصبح النص بعد كتابته يقترح مجموعة من العوالم التي يجدها القارئ. فالنص هو اقتراح عالم، وممكنات على القارئ، فهذا الأخير يجد في النص ممكناته، وبهذا المعنى فكل النصوص أمام القارئ، جديدة. وسواء كانت نصوص افلاطون، أو ملحمة جلجامش، أو شعر المتنبي، أو شكسبير، أو جبران، فكل هذه النصوص تقترح ممكنات من الفهم، والوجود. ما على القارئ إلا أن يجدها، ويعيش بها. والسؤال الذي نسعى للإجابة عليه هو: كيف ينظر ريكور إلى الخطاب؟ وما هو التصور الذي يضيفه عليه، ليتجاوز لحظة التاريخية التي كتب فيها؟ فرضيتنا الأساسية في البحث: أنّ نظرية الخطاب عند ريكور جاءت كرد على النظرية التي تقول بموت المؤلف، لأنّ موت المؤلف معناه عدم وجود إرادة، ووعي بشري في الكتابة، وبذلك ستصبح النصوص بغير ذات أهمية، لأنّها نتاج حتميات لاشعورية يخضع إليها المؤلف، كما أنّ نظرية الخطاب عند بول ريكور، التي تركز على فكرة أنّ النص ينتج عوالم، وممكنات فهم، من خلال آلية القراءة، ستنتقد الكثير من النصوص الأسطورية، والدينية، والرمزية، والشعرية التي حاول الاتجاه العلمي والبنوي، والماركسي تجاوزها. أمّا الفرضية الثانية: فهي أنّ نظرية الخطاب عند ريكور هي نقد للحدثة العلمية، والتقنية التي صبغت الحياة الأوروبية بتصوراتها المتطرفة. وهدفنا من هذا البحث أن نستفيد من نظرية ريكور حول الخطاب، فالكثير من نصوصنا العربية غير مقروءة على النحو الذي نستفيد منها في حياتنا المعاصرة. فالقراءة لا تعني أبدا فقط المطالعة، بل تعني أيضا البحث في الممكنات التي يقترحها النص. ونرى أنّ المنهج المناسب في تحليل موضوعنا هو المنهج التحليلي من أجل عرض الأفكار وتبسيطها.

2. ريكور ونقد نظرية موت المؤلف:

قبل أن نخلل نظرية بول ريكور في الخطاب، يلزمنا التطرق إلى التصور البنوي للخطاب، إذ تتصور المدرسة البنوية النص بوصفه: " جزيرة "، مفصول عن محيطه الثقافي، والتاريخي، أي بوصفه إشارات، وعلامات لا تحيل إلى أي شيء بقدر ما تحيل إلى نسق بنوي لاشعوري، مسكون في اللغة، وفي التاريخ.

واحد مراد

إذْ نظرت هذه المدرسة إلى اللغة بوصفها نسقا من الإشارات، والعلامات اللاشعورية، الصامتة التي تتجاوز الزمان. وهكذا، تم تغييب الذات من أي محاولة لإنتاج المعنى، إذ أنّ النسق هو الذي يملأ الذات حين تتكلم، والذات ليست إلا نتيجة لهذه الحتمية النسقية ف" تطور علم اللغة مشروطا بوضع الرسالة بين قوسين لصالح الشفرة، ووضع الحادثة بين قوسين لصالح النسق. ووضع القاصدين لصالح البنية" (ريكور، 2003، صفحة 26)

وبهذا فإنّ التحليل اللساني الذي تتبعه المدرسة البنيوية في تحليلها للخطاب، إنّما ينظر إلى المعاني بوصفها مجموعة دلالات ليس لها أي أهمية، فضلا على أنّها مغلقة على ذاتها، محكومة في إنتاجها بقوانين صارمة، تشكلت من اللاوعي، الذي ترسب في طريقة الكلام وبالتالي في النصوص. وهكذا، فإنّ اللغة لم تعد تعبر عن العالم، ولا عن الذات لأنها ترجع إلى "مستوى غير واعي، وبهذا المعنى غير فكري، ولا تاريخي" (ريكور، نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، 2003، صفحة 66)

يحاول ريكور استعادة فعل الكلام من التصور البنيوي الذي يجعل من النسق، ومن الشفرة هي المتكلم الحقيقي في الذات. ولكن كيف بإمكان ريكور أن يعيد للكوجيتو حريته في الكلام؟ وتصبح لعبارة "أنا أفكر إذن أنا موجود لديكارت لها معنى: "أنا أفكر إذن أنا واعي بما أكتب"، أو أنا أكتب إذن أنا أفكر. إذ أنّ القول بأنّ النسق، والشفرة هي التي تظهر في الكلام، وتحدد معناه. فإنّ هذا القول يؤول إلى نتيجة مفادها: أنّ الذات لا تفكر بقدر ما يفكر النسق " إذ أنّ الشفرة بلا موجة، أو مرسل، ولا تهدف إلى قصد. وبهذا المعنى فهي لا شعورية " (ريكور، نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، 2003، صفحة 26). وبعبارة أخرى: الكوجيتو في البنيوية يمحى، غير موجود، مغيب: تصبح صيغة الكوجيتو على الشكل التالي: أنا لا أفكر لأنّ اللغة تتكلمني، وقوانينها تفكر في مكاني، لذلك فإنّ ما أكتبه يبقى رهينا للقوانين التي تفكر في مكاني.

هذا التصور إلى فعل الكلام يعني اقضاء الفاعلية الانسانية في ابتكار المعنى، كما يجد من الحرية الإنسانية، ويكون بذلك المتكلم الحقيقي والفاعل هي: تلك البنى المترسبة السابقة عن الانسان المتكلم نفسه. الشيء الذي ينفي عن الانسان كل مسؤولية اخلاقية عن كلامه.

نظرية الخطاب عند بول ريكور

1.2. التمييز بين اللغة والخطاب:

من أجل أن يرد ريكور على نظرية موت النص عند البنيويين، يميز ريكور بين اللغة والخطاب. فالخطاب هو في النهاية كلام. والتكلم يحدث في زمن. الخطاب إذن، يعني حدث الكلام، وخاصية الحدث ترتبط بالآن، بشخص يتكلم (ريكور، من النص الى الفعل، 2001، صفحة 80) ويمكن أن نستنتج الفروق بين اللغة والخطاب في النقاط الآتية:

- لا يكون الخطاب إلا في الزمان، فكل متكلم يتكلم في زمان ما، بينما اللغة هي علامات وحروف، وأدوات لا علاقة لها بالزمان. فالكلام، أو الخطاب يتحدث عن شيء ما، في زمان ما. وهكذا نجد ريكور يرفض فكرة النسق، أو الشفرة من الأساس التي تحدد الكلام ذلك «أنّ النظام، أو الشفرة أمر مجهول بقدر ما يشكلّ أمراً افتراضياً، فاللغات لا تتكلم بل يتكلم الناس" (ريكور، نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، 2003، صفحة 39). يتبين أنّ الدفاع عن الإرادة، والحرية للذات المتكلمة في التعبير عن نفسها، وعن العالم هو ما حرك اهتمام ريكور. يؤكد هذا الأمر بقوله: " فالكلام هو الفعل الذي من أجله يتجاوز المتكلم انغلاق عالم الإشارات. بغية أن يقول كلاماً ما، عن شيء لشخص من الأشخاص" (ريكور، بول ريكور ، صراع التأويلات ، دراسات هيرمينوطيقية، 2005، صفحة 122)

- كل خطاب يحيل إلى متكلمه، أيّ يُحيل إلى ذات انسانية واعية، ومسؤولة، ومريدة. والمتكلم هو الذي يستعمل الالفاظ، والمفردات، والحروف: ليقول، أو ليعبر، أو يعترض... كما أنّ المتكلم لا يستغني عن الضمائر التي تحيل إليه من قبيل: أنا، نحن، هم، هو في المقابل، نجد اللغة لا تشير إلى ذاتها، وليس لها وعي ذاتي. أي تبقى مجردة واسطة، وأداة يستعملها المتكلمون.

- يحيل كل خطاب إلى موضوع ما، فهو صيغة كلامية عن شيء، الذات بهذا المعنى تتكلم عن موضوع ما بواسطة اللغة، بينما هذه الأخيرة لا تشير بأي حالة من الحالات عن موضوع معين. إذ لا يمكن أن تعبر عن شيء ما. فهي مجرد أداة، وواسطة. إذ " تحيل علامات اللغة على علامات أخرى داخل نفس النظام. وبينما تستغني اللغة عن العالم، تستغني عن الزمنية والذاتية " (ريكور، من النص الى الفعل، 2001،

واحك مراد

صفحة 141). وهذه الفكرة في غاية الأهمية، إذ تصبح اللغة ذات بعد موضوعي مستقلة عن الذات ، إذ هي مجرد علامات للاستعمال.

- يفترض الخطاب وجود ذات أخرى يُوجّه إليها الكلام، بينما اللغة تبقى في حكم الأداة للاستعمال الحواري، والكلامي. ووجود الخطاب مرتبط بالضرورة بالزمان. إذن الحدث هو ظاهرة "التبادل الزمنية، بناء الحوار الذي يمكن أن يعقد، أن يطول، أو أن يُقْطَع" (ريكور، من النص الى الفعل، 2001، صفحة 80). إذن ليست اللغة هي التي تتكلم الانسان. بل، هو الذي يتكلّمها. وهي ليست قواعد لاشعورية تحد من الإمكانية الانسانية في التعبير عن مكنوناته الداخلية، وعن رؤيته للأشياء وللعالم بل، هي مجرد أداة.

2.2. التمييز بين الكلام الشفهي والكلام المكتوب:

لقد رأينا كيف يميز ريكور بين اللغة والخطاب، وإذا كانت اللغة مجرد أداة، فإنّ الخطاب هو الكلام، وهذا الكلام ينقسم إلى: كلام شفهي، وكلام مكتوب. في الخطاب الشفهي -كحوار بين شخصين -تكون مرجعية المتحاورين محددة. ب: هنا -في هذا المكان -، والآن- في هذا الزمان. كمحدّدين أساسيين في تحديد مرجعية الكلام. وباعتبار أنّ فعل التكلم حدث، ينطق به أحد المتحاورين، الموجه إلى مُحاور آخر، فإنّه من الطبيعي أن يُحاور المتكلم وهو يستعمل جملة من الإشارات، والإيماءات - لغة الجسد -، ويوظّف ايضا طريقة السؤال، والجواب. لهذا وعلى أساس ذلك، تنتفي بالضرورة إشكاليات الفهم بينهما، إذ تتجلى وتتوضّح كل صعوبة من خلال هذا الحوار المستند على مرجعية الواقع، يقول ريكور في هذا المعنى: " إنّ المرجعية في الخطاب الشفهي علانية " (ريكور، من النص الى الفعل، 2001، صفحة 145). إذ أنّ الكلام يُفهم من خلال سياق الحديث، ومن الواقع المرجعي الذي ينتمي إليه كل من المتحاورين معا، حيث تنتفي كل صعوبة حول الفهم، وينتفي أيضا سوء التفسير، فكل عائق في الفهم، وكل التباس في المعنى يُحلّ من خلال صيغة: سؤال / جواب، وأيضا من خلال العبارات التفسيرية التي يقوم بها أحد المتحاورين: كشرح ما بدا أنّه غير واضح، بتبسيط العبارات الغامضة، والمعقّدة. الخطاب الشفهي يفسّر نفسه بنفسه. تارة بالكلام، وتارة أخرى بالإشارة الحسية. ف " في الخطاب المنطوق يكون المعيار

نظرية الخطاب عند بول ريكور

الأخير للمجال المرجعي لكي يقوله، هو إمكانية عرض الشيء المحال إليه من حيث هو جزء من سياق، يشترك به المتكلم والسامع. وهذا السياق يحيط به الحوار" (ريكور، نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، 2003، صفحة 68)

ما يميز الخطاب الشفهي كما ذكرنا أعلاه: هو الزمنية، والسياق، والواقع، والحوار المباشر أيّ فلان يتحدث في زمان ما، عن شيء ما لفلان مُحدد في مكان، وواقع محددين. ولكن في المقابل، الخطاب المكتوب كما يرى ريكور: تأخذ الزمنية، والسياق، والواقع، والحوار وضعاً مختلفاً. فالخطاب المكتوب له خصائص يَبْنِها ريكور فيما يلي:

- يعتقد ريكور أنّ ما يُثَبَّت بالكتابة ليست الإيماءات، ولا الإشارات، ولا الانفعالات، ولا شبكة الطرق التأثيرية التي كان قد استخدمها المتكلم في الخطاب الشفهي قصد إقناع المستمع، بل إنّ ما يُثَبَّت في لحظة الكتابة: هو فحوى المعنى: والقول: " فإنّ التخارج القصدي المناسب لمختلف طبقات الفعل الكلامي هو الذي يجعل التسطير بالكتابة ممكناً " (ريكور، نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، 2003، صفحة 69) أو بعبارة أوضح: إنّ ما نكتبه هو النية، والمعنى عبر علامات، ورموز تتجاوز الزمنية التي كتبت فيها. يصبح الخطاب المكتوب متنقلاً عبر التاريخ، مستقلاً عن السياق الزمني الذي كتب فيه.

- في الكتابة يتم تثبيت النية والمعنى معاً، فالكتابات الهيروغليفية للقراءة القدماء، والكتابات المسمارية البابلية، والأشورية، والتسطير الفينيقي، كتابات ستقرأ من طرف الأثري كخطابات تتضمن دلالات، ومعاني موجهة لكل القراء في كل مكان وزمان. ولا تشير فقط إلى دلالتها اللحظية في زمن انكتابها، وتجليها. لذا "يحمل الخطاب من مجرد كونه مكتوباً تاريخياً لم يعد بعد هو تاريخ كاتبه، فمعنى ما كتب قد بات من الآن فصاعداً مختلفاً عن القصد الممكنة لكتابة " (ريكور، مقالات ومحاضرات في التأويلية، 2013، صفحة 20). فالخطاب المكتوب يحوّل النية، والقصد في عبارات وجمل. أي، إلى علامات لغوية. فحضور النص يلغي النية. ف" إنّ ما يأتي إلى الكتابة هو الخطاب بصفته نية في القول، وأنّ الكتابة تسجيل مباشر لتلك النية " (ريكور، من النص إلى الفعل، 2001، صفحة 107) فعندما تتجلى

واحك مراد

نية المؤلف في الكتابة، تصبح هي نصا يُقذف في التاريخ، يُجاور كل من يقرؤه، صحيح أنّ المؤلف لم يعد حاضرا ، ولكن ما ينوب عنه فعلا هو المعنى الذي جسده في علامات. حيث الخطاب في هذه الحالة: يحمل دلالاته المستقلة، ويخرج عن سيطرة المؤلف، سواء من حيث المعنى الذي قصده، أو لم يقصده، ومن حيث نتائجه التي ترتبت عنه أيضا .

- ما يحدث في لحظة الكتابة: هو استقلال المكتوب، يأخذ طريقه لوحده في مسار التاريخ، إمّا بالرفض، أو القبول، إمّا بالإطراء، أو التثمين، بالتجريح، أو بالتقديس. النص يدخل في علاقات خاصة: مع القراء، ومع التاريخ، مع النظام الاجتماعي، ومع النظام السياسي، ومع الوعي الديني. ولهذا فهو دائما متهم، في محل شبهة " الكتابة باستقلالها عن منتجها، أو ناقلها تقرر معناها الخاص، وتنفصل عن المعنى الذي خبأه فيها المنتج، أو الناقل. وبهذا الانفصال تولد انشقاقها إلى معاني متعددة باستقلال الكتابة عن معنى مؤلفها، أو مرسلها. تنتج معناها الخاص الذي يعد بالتعدد، والغزارة، ولذلك تكون مثار شبهة" (غانمي، 2004، صفحة 13)

3. الخطاب وعوالم الخيال:

تحدد مرجعية الكلام الشفهي كما ذكرنا، في إطار الواقع والسياق، ومتقويا بالتأثيرات الانفعالية والحسية، ويغتني أيضا، بكل الحمولة الكاريزمية للمتكلم. إذ ليس هناك غموض، أو التباس للمعنى في المحادثة الشفهية. ذلك أنّ السؤال، والجواب، والشرح، والتبسيط، وإشارات المتكلم تشرح الخطاب، وتبسّط القول إلى معاني واضحة. وإنّ كان هناك سوء في إدراك المعنى الصحيح، فإنّ الحوار يُجَلِّيه. لكن، النص المكتوب إذا ما وقع بين يدي قارئ ما، فإنّ النص في هذه الحالة هو الذي يلعب دور المتكلم، لأنّ المؤلف غائب. ولأنّ نص مكتوب، فإنّه يفتقد المرجعية الواقعية التي يدافع بها عن نفسه كإمكانية: الشرح، والتبسيط، والسؤال، والجواب، والنبرات، والكاريزما التأثيرية، ولكن أين هي مرجعية النص الذي تُبَتّ بالكتابة؟ وهل هناك نص لا يحيل إلى أي واقع، أو إلى أي سياق؟ يتعلق الأمر: أنّ النص يحمل كاريزميته الخاصة وبعده التأثيري، ووسائل إقناعه، يعوض بها عن غياب المرجعية. وهو بهذا، في نظر ريكور: من دون مرجعية، أو أنّها معلقة. إنّ مرجعيته معلقة في الهواء. ف:"النص يكون على الأقل في هذا الإرجاء التي

نظرية الخطاب عند بول ريكور

تؤجل فيه المرجعية في الهواء، بمعنى من المعاني خارج العالم، أو بلا عالم. وبواسطة هذا الإلغاء، كل نص يكون حراً في الدخول في علاقة مع كل النصوص الأخرى التي حلت محل الواقع الظرفي الذي أشار إليه الكلام السابق" (ريكور، من النص إلى الفعل، 2001، صفحة 108) وباستقلال النص عن مؤلفه، وعن السياق، والمرجعية الواقعية، وباقتضائه للأدوات الإقناعية للمتكلم، يصنع عالمه الخاص، ومرجعياته الخاصة به. إنه لا يحيل إلى أي شيء، ولكنه يُحيل إلى المعنى، والدلالة في ذاتهما، بعيداً عما أراد قوله الكاتب، أو المؤلف و"كما يُحرّر النص معناه من وصاية القصد الذهني يُحرّر إحالته من حدود الإحالة السياقية" (ريكور، نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، 2003، صفحة 69، 70). إذ سيعمل النص على صياغة المرجعية، وتشكيلها ليس في هذا المكان، أو في ذلك الزمان. بل إنها تنتمي إلى عالم الخيال، إلى عالم ما. والعالم في مفهوم ريكور لا يأخذ مفهوماً حسياً، أو اجتماعياً. بل يشير إلى: "مجموع الإحالات التي تفتتحها جميع النصوص الوضعية، أو الشعرية التي قرأها، وفهمتها، وأحببتها" (ريكور، نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، 2003، صفحة 71). مفهوم عالم النص يحمل معنى التطلّع إلى عالم ممكن، مقترح حيث يتحرر النص من قيود الواقع، ومن أبوية المؤلف، ويأخذ مساره الخاص في التاريخ. يفتح عالماً من الفهم، ويخاطب كل قارئ. ولعل القارئ هو الذي يمنح النص المرجعية أثناء القراءة. ومن دون شك، إنّ بلوغ العالم الذي يتطلّع إليه النص، يتضمن التخلص من البحث عن النية المخبأة فيه، وبدل من ذلك إطلاق فاعلية البحث عن المعنى الممكن فيه. فما يهم فعلاً، هو الدلالة، والمعنى، والعالم الذي يقترحه وإمكانات الوجود الجديدة التي يتضمنها. فلا يتعلق الأمر بالبحث عن نفسية ما، أو أيديولوجيا في داخله، بل الفهم الذي يقدمه لنا لكي نقيم فيه فإنّ " ما نفهمه في خطاب ما ليس شيئاً آخر بل تطلّع ما " (ريكور، من النص إلى الفعل، 2001، صفحة 146). فليست الظروف الاجتماعية والنفسية، والتاريخية هي التي يجب البحث عنها في تأثيرها على إنتاج النص، بل ما يهم هو تلك الأبعاد من الذات، والتجارب الوجودية التي تختزن فيه، والتي تم طمرها، ونسيانها. ولا شك أنّ النص مرآة لكيثونة وجدت قبلنا ويحمل في ثناياه إمكانات في الوجود، تمت معاشتها، واختبارها، وعوالم من

واحك مراد

تصورات انسانية مكنوزة، القارئ هو الذي يختبر، ويعايش، ويتعرف على هذه الحياة. بل قد ينتج القارئ من خلال الاطلاع هذه على هذه النصوص، تجارب جديدة. وهو ما قد عبر عنه نيتشه في كتابه إنسان مفرط في انسانيته: "يفاجأ الكاتب مفاجأة لا تنتهي، حين يرى كتابه الذي انفصل عنه يحيا حياته الخاصة، يتشكّل لديه الانطباع الذي قد يتشكل لدى حشرة انفصل عنها جزء منها، وصار يحيا مستقلا، قد ينساه تماما، قد يسمو فوق الأفكار التي ضمنها إياه، قد لن يفهمه بعد، وقد يكون فقد تلك الأجنحة التي كان يخلق بها حين كان يتأمل الكتاب. وها هو ذا الكتاب يبحث عن قرائه يبعث الحياة، يلهم الفرح، يلهم الرعب، تتولد عنه أعمال أخرى =، يصير روح بعض التصميمات وبعض الأعمال. باختصار يحيا ككائن له روح، وعقل، ولكنه مع ذلك ليس إنسانا، لعل الكاتب قد جلب أسعد الحظوظ لأواخر أيامه، يكون له ما كان لديه من أفكار وأحاسيس حاملة للحياة، من قوى، من سمو من إشعاع، مازالت تحيا في كتاباته، إنه لم يعد يمثل سوى الرماد، بينما ناره قد توزعت في كل الأفاق، و لم ينطفئ) " (نيتشه، 2002، صفحة 155)

4. مفهوم عالم الخطاب بين ريكور والتصوف:

ما يبدو جليا، أنّ ريكور استعار مفردات الصوفية في حديثه عن الخطاب، بذكرنا بعبارات المتصوفة حين يبحثون عن الإقامة، والسكنى في عالم الملكوت، ويتدرجون في المجاهدة للتعرف على المقامات، والإقامة فيها، ويتحدثون عن تمام السعادة في حين شهود هذا المقام، أو ذاك، ويذكرون بعين الدهشة عروجهم الى مقامات أعلى. كذلك، نلاحظ في اسلوب ريكور، نبرة صوفية واضحة حين يقول: " تتجلى روحية الكتابة وهي تحررنا من مرئية ومن حدية الحالات، وهي تفتح لنا عالما بما في ذلك أبعاد عالما المعيش " (ريكور، من النص الى الفعل، 2001، صفحة 145). أمامنا كلمات صوفية من دون شك: تحرير، روح، التجلي، المرئي، العالم المعيش. فالخطاب منذ أنْ يُنَبِّت بالكتابة يكون حاملا لإمكان عوالم خيالية مقترحة موجودة، والقراءة هي طريقة من طرق الوصال مع النص ونوع من المناجاة الروحية لعالم ممكن من الفهم والوجود. وهي التي تخرج المعنى من الوجود بالقوة الى الوجود بالفعل. قد تكون القراءة هي الوصال، كطريقة من طرق الوصال العشقي، والروحي لعوالم الدلالات، إنه الفناء بالمفهوم الصوفي حيث

نظرية الخطاب عند بول ريكور

يتلقى المرید أنوار المطلق، ويعایش قداسته عبر رياضة روحية متواصلة حيث ينقطع عن العالم من أجل الإشتغال فقط بالمحسوب.

قد يكون معنى "الوصال" بالمفهوم الصوفي يحمل عند ريكور معنى "فهم النص" لإدراك مكنوناته والسكن في معنى من معانيه، وهذا السكن من ناحية الفهم: هو إدراك دلالة النص يقول ريكور: " إنَّ نصا أدبيا عموما ونصا سرديا خصوصا يشترع أمامه عالما للنص هو عالم ممكن لا محاله، ولكنه عالم ... من جهة كونه مقاما يمكنني أن أقوم به، وأن أقيم فيه لإقامة أقرب ممكناتي" (ريكور، مقالات ومحاضرات في التأويلية، 2013، صفحة 26)

من المؤكد أنَّ مصطلحات ريكور ك: مفهوم المقام، وطريقة الوجود، وإمكان العيش في عالم ما، لها قرابة مع مصطلحات النزعة الصوفية حول المعراج المعنوي الذي يتم بواسطة الخيال حيث ينتقل فيه المتصوف من مقام إلى مقام، وفي كل عروج وصعود ينكشف العالم، وتبدي الحقائق في شكل رؤية تنبلح في الخيال، ولا يكتفي المتصوف بمقام واحد، بل همه هو العروج يقول أحدهم: " شهود اللوح المحفوظ وهو الموجود الانبعاثي عن القلم، وقد رقم الله فيه ما شاء من الكوائن في العالم، ثم ينتقل هذا التابع من هذا المقام إلى مشاهدة القلم الأعلى، فيحصل له من هذا المشهد علم الولاية) " (عربي، 1993، صفحة 79، 80)

وكما ترسم في مخيلة المتصوف حقائق الأكوان، والموجودات في كل رحلة بواسطة الخيال، حيث تنفتح أمامه مشاهد خيالية جديدة، فلا يكتفي فقط بالسكنى داخل المقام الحالي، بل يرتقي عروجا بخياله صعودا، محاولا التعرف على أنماط من الحقائق تجعل من التابع يمتلي بحقائق الأنوار. كذلك النص بالمفهوم الريكوري هو مقام للسكنى، والإقامة بواسطة الخيال، تماما كما هي مقامات المتصوف التي هي عالم من الحقائق، تفيض بالأنوار. ولكن يختلف عالم المتصوف عن عالم النص لدى ريكور، في أنَّ خيال المتصوف سلبي، يقتصر على تلقي الأنوار الإلهية، في حين أنَّ خيال ريكور، خيال فاعل. ف "إذا كان الخيال بعدا أصليا من مرجعية النص، فإنَّه لا يقل عن كونه بعدا أصليا في ذاتية القارئ، وباعتباري قارئ فإنني لا أعثر

واحك مراد

على نفسي إلا بتهيي، تدخلني القراءة في تغيرات الأنا الواسعة الخيال " (ريكور، من النص الى الفعل، 2001، صفحة 90)

يتمحور مفهوم الخطاب عند ريكور على فكرة في غاية الاهمية وهي: أنّ النص مولّد لعوالم فهم كثيرة وممكنات وجودية لا تخصي، وهذا النص ملك للقارئ، يتعامل معه عبر القراءة. هذا المفهوم للخطاب يقابل ذلك المفهوم الذي يجعل من النص مجرد قواعد، وعلاقات لغوية تحيل إلى ذاتها ولا تنطق إلا ببني لا شعورية، حيث يتلاشى المعنى إلى درجة الصفر، فلا وجود إلا لبني تحتية مترسبة، وهي التي تكتب، وتتكلم، وهي التي تحل محل إرادة القول، فبدلاً من ذلك يتجه ريكور إلى الدفاع عن حرية الإرادة في القول وإلى تحرير النص من تصورات المدارس التي تجعله مجرد تعبير عن أوضاع اجتماعية وسياسية، وتاريخية. لأنّها بذلك، تعلن موته وتعلن أيضاً عن استنفاد امكانيات النص. وفي هذا السياق نجد ريكور لا يفصل بين النص، والخيال: ذلك أنّ النص المكتوب هو في النهاية تجربة انسانية تجلّت عبر الكتابة، وسجّل كاتبه إمكانات وجود عرفها، وخبرة حياتية عايشها. ولأنّ النص قد استقل عن مؤلفه، وعن ظروف عصره، فهو بهذا يمتلك حرّيته الخاصة. فهو ليس ملكاً لأحد، بل يترك وراءه أبعاد خيالية، تُستكشف من خلال التأويل، والقراءة. إن الدفاع عن استقلالية النص معناه استعادة بعده الخيالي، فهو علامات تنفجر، وتنشطر إلى إمكانات، وعوالم خيالية، ف "بواسطة تفكر بسيط في العلاقة بين العلامة والشيء، فعلى قدر ما لا تكون العلامة هي الشيء، تكون على أهبة المنفى ومع ذلك، لا شيء يشبه عالماً للعلامات، بل العلامة هي محسوبة على العالم " (ريكور، مقالات ومحاضرات في التأويلية، 2013، صفحة 23). فالخطاب عندما يُكتب يستقل عن مؤلفه، سيكون قابلاً لكي يُقرأ من أي كان وبأي طريقه كانت، وذلك بسبب وجود ذلك البعد الخيالي منه، حيث يستثير مخيلة القراء معه، أمّا المعنى الحقيقي، وما قصده المؤلف من كتابه فقد لا يُدرك أبداً. هذه هي مأساة الكاتب عندما يكتب. تفتنّ افلاطون لهذا الامر، وقال: " وللكتابة تلك الصفة العجيبة التي توجد أيضاً في التصوير. وذلك لأنّ الصور المرسومة تبدو كما لو كانت كائنات حية، ولكنها تظل صامتة، لو أننا وجّهنا لها سؤالاً. وكذلك الحال في الكلام المكتوب، إنّك تظن أنّه يكاد ينطق كأنّما يسري فيه الفكر، ولكنك إذا ما استجوبته، بقصد

نظرية الخطاب عند بول ريكور

استيضاح أمر ما، فإنه يكتفي بترديد نفس الشيء. وهناك أمر آخر هو أنّ الشيء بعد أن يُكتب، يظل ينتقل من اليمين إلى اليسار بغير مبالاة، فيساق إلى من يفهمون، وإلى من لا يعنيههم منه شيء على السواء. وهو فضلا عن ذلك، لا يدري إلى من الناس يتجه، أو لا يتجه. ومن جهة أخرى حين تتجه إلى موضوعه أصوات المعارضة، أو حين يُحتقر ظلما، يصبح في حاجة إلى مساعدة من مؤلفه، لأنه لا يستطيع لوحده أن يدرك عن نفسه خطرا، ولا يقدر الدفاع عن نفسه " (افلاطون، 1999، صفحة 111)

5. الرمزية وتأويل الخطاب:

ما ينتقده بول ريكور في الدراسات البنيوية للرموز وللأساطير، هو أنها لا تهتم بالبعد الدلالي والخيالي من النص، بل تهتم بالبحث عن النسق غير الواعي (ريكور، بول ريكور، صراع التأويلات، دراسات هيرمينوطيقية، 2005، صفحة 44). وبذا تكون وظيفتها أقرب إلى العلم، بينما تتجه الهيرمينوطيقا إلى استقصاء المعاني، التي أنتجتها مخيلة الإنسان في الخطابات الرمزية والتي تتضمن ثخانة معقدة وتجربة عميقة تحتل إمكانات من المعنى، والدلالة، وهذا يعني أيضا، أنّ النصوص الرمزية تنطوي على تجارب عميقة، وتحمل تجارب كانت محصلة الخيال، والوجدان، والشعور. وهي بهذا ستبقى تجارب إنسانية خالدة، لا يمكن أن يتجاوزها الزمن. فالتأويل يتجه نحو تمثّل هذه التجربة العميقة، وفهمها والتعلم منها. لا يهم العصر الثقافي الذي أنتجت فيه، ما يهم فعلا هو المعنى وتوظيفه في فهم الذات ف"الابداع لينشق كدبومة، وكرمن الاعمال تركد خلف دبوم، وتبقى جامدة ومعرضة للنظر كأشياء للتأمل أو ماهيات للمحاكاة) " (ريكور، بول ريكور، صراع التأويلات، دراسات هيرمينوطيقية، 2005، صفحة 268).

إذا كانت الكينونة الإنسانية معقدة، فإنّ تواجداتها المختلفة لا يُعبّر عنها إلا برمزية. والقارئ المؤوّل يسعى إلى فك المعنى المختبئ في الظاهر، ويقوم على "نشر مستويات المعنى المنطوية في المعنى الحرفي" (ريكور، مقالات ومحاضرات في التأويلية، 2013، صفحة 178). ذلك سواء تعلّق الأمر بنص أسطوري، أو استعاري، أو نص ديني، فإن الهيرمينوطيقي يعمل على اكتشاف هذه العوالم. فمن دون قراءة

واحك مراد

تأويلية لهذه النصوص الرمزية، فإنّ النص يبقى في حكم الميت فالقراءة هي "الفارماكون، هي العلاج الذي ينجو فيه معنى النص من غربة تنائية" (ريكور، نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، 2003، صفحة 79 ، 80). والإنسان الأول الذي كتب بواسطة الرمز، والأسطورة فقد طوى واختزل تجاربه العميقة في رمزية عميقة، والتأويل ليس إلا عبور لقشرة المعنى الحرفي للوصول إلى المعنى الباطني، والتنبه إلى اقتراحات النص. فالتفسير هو الذي يكشف عما يطويه الرمز. فالفهم يزداد عمقا كلما كان مبنيا على التفسير (لزهر، 2012، صفحة 73)

فالخطاب الرمزي سواء كان اسطوري، أو شعري، أو ديني يخترن فيض المعنى، ويتيح إمكان التفسير، ولا يلخصه القول. إذن على المؤل أن يشتغل على هذه الرمزية من: أساطير، واستعارات، وعلى أقوال الحكمة البشرية القديمة ليجني المعنى، إذ أنّ كل رمز يحتاج إلى تأويل حتى نستطيع النفاذ في أعماقه. وبذا تكون العلاقة بين الرمز والتأويل قوية حيث " يصبح الرمز والتأويل متصورين متعالقين، إذ ثمة تأويل هنا، حيث يوجد معنى متعدد، ذلك لأنّ التعددية المعنى تصبح بادية في التأويل" (ريكور، بول ريكور ، صراع التأويلات ، دراسات هيرمينوطيقية، 2005، صفحة 44)

إذا كان دلتاي (Wilhelm Dilthey) 1833-1911، وشلايرماخر 1768-1834 (Schleiermacher) ينظران إلى النص على كونه حامل لمعنى واح، فإنّ ريكور يرى النص كونه قابل لأن يكون قبلة لتعددية المعنى. حيث يقوم المؤل بحل شفرات الرموز والنظر إلى الرموز إلى ما تشير إليه من معاني. ذلك أنّ الرمز لا يشير إلى ذاته بقدر ما يشير إلى معاني محتجة ومقصودة مثل رمزية اللطخة فهي لا تشير إلى الوسخ بقدر ما تشير إلى الخطيئة ، إذن يقوم المؤل بالنظر في الرمز والنظر إلى ما يحتمله من المعنى. وهنا يعرف ريكور التأويل باعتباره "عمل الفكر الذي يتكون من فك المعنى المختبئ في المعنى الظاهر ويقوم على نشر معنى المستويات المنضوية في المعنى الحرفي" (ريكور، بول ريكور ، صراع التأويلات ، دراسات هيرمينوطيقية، 2005، صفحة 43)

يعمل المؤل على بسط المعنى المختبئ، وإظهاره، والنظر إلى اللغة لا بوصفها نسقا من القواعد تشير إلى ذاتها فقط، بل يجب النظر إلى الرمز، والنص بوصفهما يحيلان إلى الخارج، ذلك أنّ الكينونة

نظرية الخطاب عند بول ريكور

الإنسانية لم تصرح بذاتها من خلال علامات واضحة، بل من خلال العلامة الرمزية، يعمل المؤول على كشف، وإظهار المعاني المطوية من خلال التفسير، وزيادة المعنى، هنا سيحاول المؤول أن يكشف الكينونة التي تجلت عبر الرمز بالتأويل، كتوضيح وتعريف بشكل الكينونة في العالم المعروضة أمام النص (ريكور، بول ريكور ، صراع التأويلات ، دراسات هيرمينوطيقية، 2005، صفحة 44)

6. خاتمة:

الفكرة الجوهرية التي توصلنا اليها من خلال البحث هي أنّ النص المكتوب لا يموت بموت مؤلفه، ولا يتجاوز التاريخ بزعم أنّه نتاج ظروف تاريخية معينة، بل بالعكس من ذلك تماما، إنّهُ يحمل حياة وجِدّة عابرة للزمان والمكان، يمكن الاستفادة منها، نعلم جيدا كيف أنّ النهضة الأوروبية الحديثة كانت نتاج اعادة قراءة التراث اليوناني والروماني في مصادره الأساسية. وأنّ الديمقراطية الأوروبية نفسها كانت استعادة للديمقراطية في اليونان والرومان بإضافة بعض التحديثات. وهذا ما يقال ايضا عن العمارة الأوروبية المعاصرة التي استعادت العمارة اليونانية والرومانية، بل نجد أنّ الكثير من الافلام الامريكية تستعيد قصص اسطورية يونانية ورومانية وإعادة بعث رموز ك: هرقل وزوس وفينوس... ، وهذا الشيء الذي يعني أنّ النص يحمل في جوهره قيما، ورسائل انسانية خالدة، لا تموت بانتهاء الفترة الزمنية التي ظهرت فيها، فما يبقى من النص هو: هاته القيم الإنسانية، والافكار الخالدة التي ترتبط بالإنسان في كل مكان وزمان، فالطبيعة البشرية تبقى واحدة لا تتغير، حيث يتعاقب عليها الشر والخير، الحب والكراهية، الالم والفرح، الرفعة والذلة ، العظمة والחסاسة، وتلك النصوص القديمة صورت هذه الطباع، وسجلتها عبر الكتابة .سواء عبر الادب، أو الشعر أو الفلسفة، أو عبر الفنون المرئية ، لهذا فإنّ النص يبقى محافظ على جدته، بالرغم من تغير الأزمنة، والامكنة، وطرائق العيش، لذلك فإنّ اعادة قراءة النصوص المؤسسة لتراثنا، سواء ما كان ينتمي منها الى الدين، أو للفلسفة، أو للأدب هو الذي سيربطنا بذواتنا، وبحاضرنا في آن واحد، ولكن لا يقتصر الامر فقط على القراءة السطحية، بل يتعلق الامر بإعادة اكتشاف في النصوص ما ينقصنا، أو ربما الاطلاع على تجارب فكرية لم تستغل، ولم تجرّب، ولما لا يمكن استلهاهم وتجاربهم وتحديثها بما يناسب

واحك مراد

زماننا المعاصر. فالنص يفتح إمكانات من الفهم، ومن التجارب وما علينا كقراء معاصرين إلا استعدادنا، واخصابها على نحو ابداعي خلاق.

6. قائمة المصادر والمراجع:

- افلاطون، (1999)، محاوره فايدروس لأفلاطون أو الجمال..، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة.
- ريكور، بول، (2001)، من النص الى الفعل، عين للدراسات والنشر، القاهرة.
- ريكور، بول، (2003)، نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، لمركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان.
- ريكور، بول، (2005)، صراع التأويلات، دراسات هيرمينوطيقية، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس، ليبيا.
- ريكور، بول، (2013)، مقالات ومحاضرات في التأويلية، سيناترا، تونس.
- ابن عربي، محي الدين، (1993)، الخيال عالم البرزخ والمثال، الرؤيا والمبشرات، دار الكتاب العربي، دمشق.
- غانمي، سعيد، (2004)، خزانة الحكايات، الإبداع السردي والمسامرة النقدية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب
- لزهر، عقيبي، (2012)، جدلية الفهم والتفسير في نظرية بول ريكور، منشورات ضفاف، بيروت
- نيتشه، فريدريك، (2002)، إنسان مفرط في إنسانياته، كتاب العقول الحرة، الجزء الأول، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب.